نحو تعميق الوعي بهويتنا الثقافية الوطنية:

عوامل النهوض وآفاق التجاوز

شهدت بلادنا منذ قيام ثورتها الكبرى في بداية الستينات، تحولات شاملة، سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية فقد احدثت الثورة تغييرا جذريا في بنية المجتمع اليمني وانجزت الكثير من مبادئها الاساسية، ومنها: التحرر من الاستعمار والاستبداد، وتحقيق الوحدة الوطنية، في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، وتحديث بنية المجتمع المدني، وبناء مؤسسات الدولة- الكيان السياسي الجديد.

ومنذ تحقيق الوحدة افتتحت اليمن عصرا جديدا من التحولات السياسية، حينما جعلت من الديمقراطية والتعددية السياسية نهجااستراتيجيا لها، وفي الجانب الثقافي شهدت اليمن تحولات كمية وكيفية في مجال التعليم والثقافة، وبفضل العملية الثورية المتجددة خرجت اليمن من عزلتها وانفتحت على ثقافتها العربية، واتجهت إلى الانفتاح على الثقافات الانسانية بعد قرون طويلة من العزلة والجمود، وقد احدثت هذه التحولات تراكما معرفيا وثقافيا عظيما شكل إضافة وثراء وغنى لهويتنا الثقافية الوطنية لما يقرب من نصف قرن.

حقق شعبنا الكثير من الإنجازات لأنه يمتلك هوية ثقافية معالمها واضحة ومتميزة

مبادئ الثورة اليمنية عميقة في مضمونها وشاملة في استراتيجيتها ومستقبلية في رؤيتها الفلسفية

د/حسن الكحلاني

إن التحولات الاقتصادية والاجتماعة والسياسية ، لايمكن ان تسهم في تقدم الشعوب ، إلا إذا امتلكت الدولة فلسفة عامة توجه تلك المنجزات نحو اهداف محددة ، وإلا فإن تلك التحولات والتغيرات المختلفة قد تؤدي إلى نتائج سلبية فالتطور أو التغير عملية حتمية تشمل كل مفاصل الحياة أما التقدم والارتقاء فهو نتاج تخطيط هادف وواع من قبل الانسان، حيث تضع القوى الفاعلة في أي مجتمع يسعى إلى النهوض، رؤية عامة، تحدد من خلالها تصورها للمستقبل.

إن الشعوب التي تمتلك فلسفة عامة ترسم فيها صورتها ووجودها الذي تريده في المستقبل، تحدد فيها شخصيتها الوطنية والقومية، والاهداف العامة المنشودة، ووسائل بلوغها ، هي التي تستفيد من التحولات العالمية وتتحكم بها لتحقيق اهدافها الخاصة من جهة ، وتكون قادرة على الاسهام في تقدم ورقى الحضارة الانسانية من جهة اخرى، أما الشعوب التي تسير بلا رؤية واضحة ترسمها بنفسها، وبلا هوية ثقافية تحدد شخصيتها وتميزها، فإنها تظل حائرة مترددة مذهولة إزاء مايجري من حولها.

لقد حقق شعبنا الكثير من الانجازات في مجالات متعددة، لكونه يمتلك هوية ثقافية معالمها واضحة ومتميزة، تقوم على مكونات وعناصر اساسية وجوهرية هي : الاقليم الجغرافي الواحد، والاصل العربي واللغة العربية الواحدة ، والدين الاسلامي الحنيف ومبادئ الثورية واهدافها الوطنية والقومية والانسانية العظيمة والكيان السياسي الموحد الذي تحقق في الـ ٢٢ من مايو عام ١٩٩٠م القائم على التعددية الفكرية والسياسية.

ويحمل شعبنا اهدافا انسانية واضحة رسمتها واغنتها ثورته العظيمة وعمقت جذورها الوطنية والقومية، والانسانية.

فلسفة الثورة واهدافها التقدمية:

لقد جاءت الثورة اليمنية الكبرى- التي بدأت ارهاصاتها الاولى منذ مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين حتى اكتمل نموها، ونضج ثمرها في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م والرابع عشر من اكتوبر ١٩٦٣- نتيجة لنضال طويل في سبيل الحرية والوحدة والتقدم لتحطم اسوار العزلة والانغلاق الذي فرضه النظام الملكي على وطننا ، وهويتنا ، ولتؤكد في كل مبادئها على أن الهوية لاتنمو ولاتتقدم بالانكفاء والانغلاق على الذات بل الانفتاح والتواصل مع هوتنا العربية والاسلامية والحضارة الانسانية وثقافاتها المتعددة.. وكانت مبادئ الثورة اليمنية اصدق تعبير عن نضج فكري لدى الثوار ، إذ أن الثورات الحقيقية لاتقوم إلا بعد أن تضع الاسس الفكرية والمقدمات النظرية لها ، فقد جاءت تلك المبادئ النظرية والفكرية، عميقة في مضمونها وشاملة في استراتيجيتها، ومستقبلية في رؤيتها الفلسفية، بمعالجتها لقضايا وطنية وقومية وانسانية.

استندت الثورة اليمنية إلى ابعاد فلسفية وفكرية واضحة هي : التحرر من الاستعمار والاستبداد ، وإقامة نظام جمهوري ديمقراطي عادل، وتحقيق الوحدة الوطنية في نطاق الوحدة العربية الشاملة، وتحطيم بنية المجتمع القديم، الذي عزل شعبنا عن ثقافة العصر ومكوناته وتحديث بنية المجتمع اليمني الجديدة، وبناء دولته الوطنية المستقلة، وتحقيق الحرية الفردية عبر التوجه الديمقراطي الذي ينمي التنوع في اطار التوحد على أنقاض النظرة الواحدية والشمولية.

البعد القومي للثورة

وقد اكدت الثورة اليمنية في مبادئها ، على اهمية الانطلاق نحو تحقيق حلم الانسان اليمني بالتحرر والوحدة والتقدم في ظل قواسم وهوية مشتركة اعلى وأسمى توحد كل ابناء الشعوب العربية في أمة واحدة لها هويتها الثقافية المشتركة ، التي تعتمد على عدد من الاسس هي : الاقليم الجغرافي الواحد واللغة، والدين، والتاريخ المشترك ، والآمال ، والاخطار التي تهدد هذا الكيان الواحد.

الكيان السياسي

يعد الكيان السياسي الموحد، مكونا اساسيا من مكونات الهوية الثقافية الوطنية لأنه العنصر الحاسم في الحفاظ على الهوية وتحقيق وجودها الفعلي ، لقد تميز الفعل التاريخي العظيم الذي حدث يوم الـ٢٢ من مايو عام ١٩٩٠م بتحقيق وحدة الأرض والانسان اليمني، وظهر إلى الوجود الكيان السياسي الموحد وبهذا العنصر الجديد تم تحديد طبيعة النظام السياسي القائم على الديمقراطية والتعددية السياسية.

لم تكن هذه المكونات للهوية الثقافية الوطنية متحجرة كما مر بناء بل ظلت تنمو وتتطور عبر الاضافات والتجديدات التي اضافها اليمنيون إلى شخصيتهم اليمنية العربية ، بالاضافة إلى مجموعة من السمات الخاصة المتأصلة فيهم مثل : التعاون والشورى في الحكم والتي تعد من اهم ادبيات نظام الدولة اليمنية القديمة.

(بالإضافة إلى التسامح الفكري الذي يتميز به الانسان اليمني ، حيث لم تشهد اليمن صراعات مذهبية في معظم مراحل تاريخنا القديم والحديث، فقد كان الصراع يتركز حول القضايا السياسية والاقتصادية، أما ما طرأ على بلدنا من بعض المظاهر المتعصبة والضيقة الأفق في الأعوام الماضية، فتعد ظاهرة غربية وجديدة على حياتنا الفكرية).

وقد شكلت تلك الاضافة الجديدة إلى هويتها الثقافية الوطنية قوة دفع جديدة نحو مستقبل افضل.

إلا أن تلك الانجازات التي حققتها الثورة اليمنية تعترضها الكثير من الاخطار والأزمات التي تعرقل سيرها التقدمي، مثلها مثل سائر الشعوب العربية خصوصا في هذه المرحلة التاريخية، ففي ظل حركة النهوض والتقدم الذي تسعى اليه قيادتنا السياسية وشعبنا العظيم ، تعترض مسيرتنا اخطار كثيرة ناتجة عن ازمات وتحديات داخلية واخرى خارجية يتركز معظمها في الجانب الفكري والثقافي، ولذا ينبغي التركيز على هذا البعد، لأن الفكروحده هو العامل الحاسم في تقدم الامم وارتقائها.

ولذا فإننا سنحاول دراسة واقع هويتنا الثقافية الوطنية، محددين عناصر القوة فيها وعناصر الضعف أي اننا سنبحث في رؤيتنا لهويتنا الثقافية ، كيف نفهمها ، ونحاول ان نجيب على التساؤل الاساسي الذي يعد جوهر الهوية الثقافية لأي امة من الأمم وهو من نحن ؟ ولكننا لن نكتفي بالرد على هذا السؤال ، حيث نعتقد أن معظم اشكالاتنا وصراعاتنا وجمودنا ناتجة عن التمركز حول تحديد الهوية والانغلاق داخلها ، لأن الإجابة عن هذا السؤال تحدد ماهو كائن وماهو ثابت ومتحجر، ولذا فإننا سنركز جهدنا هنا لوضع اسئلة اخرى ترتبط بالهوية ومستقبلها بالدرجة الأولى، فنسأل من نحن الآن؟ وماذا نريد ان نكون في المستقبل؟ وما الوسائل الكفيلة بتحقيق اهدافنا التي نطمح إليها؟ وكيف نحدد علاقتنا بالآخر، وبالماضي ،ونحدد مقومات التجاوز وشروطه ، وعناصر النهوض والارتقاء.

وبما ان الشباب هم الغاية الاساسية لجهودنا، وبالاعتماد عليهم نحقق التقدم والارتقاء ، فلا بد ان نعرف ماذا يريدون منا تقديمه لهم لتحقيق تطلعاتهم وآمالهم واحلامهم التي هي آمالنا وتطلعاتنا جمعيا ؟ وما الإشكالات الاساسية التي تواجههم وكيف ننمي قدراتهم وطاقاتهم الإبداعية وكيف نحرر قواهم الخلاقة من الاغلال التي تكبلهم ؟ هذا مانحاول الإجابة عليه في هذا البحث.

ان التحديات الفكرية والثقافية التي تواجه الشعوب لابد ان تجد لها ردود افعال، ولا بد أن يسعى مفكروها إلى وضع استراتيجية فكرية للتصدي للأزمات الداخلية والتحديات الخارجية لأنه لايمكن ان نواجه الفكر إلا بفكر ، ولابد أن يحمل الفكر رؤية جديدة لمواجهة مشكلات وتحديات جديدة ايضا، إذ لايمكن ان نواجه الحاضر بالماضي، ولايمكن ان نتخلى عن عناصر القوة في تراثنا ايضا، إن قدرة الشعوب في مواجهتها للأزمات تكمن في خلق أفكار جديدة، أما الأمم التي تبحث عن اجابات قديمة لإشكالات جديدة فهي أمم ميتة فاقده للوعي، تعيش على الذاكرة فقط .

إن عوامل النهوض تكمن في انتاج فكري نظري جديد غير أن كثيرا من الناس في مجتمعنا يرفضون الفكر النظري ويخافونه ، حيث يعتقدون اننا لايمكن ان نتقدم إلا بالتخلي عن التنظير والاتجاه إلى العمل دون اعتبار منهم لأهمية الفكر، ولايدركون ان مايميز الانسان عن غيره من الكائنات هو الفكر، فالإنسان وحده لايتجه إلى العمل إلا بعد ان يضع له هدفا ورؤية واضحة للحياة ، يحدد من يكون وماذا يريد؟ فالفكر النظري هو الذي يكشف لنا غموض الحياة وابعاد الازمة ومانجده للاسف هو سخرية البعض من الفكر ، وهذه النظرة غير العقلانية تعمق الازمة ولاتقدم حلولا.

واقع الهوية الثقافية

يتميز واقعنا الثقافي والفكري بتجاوز مجموعة من التناقضات التي ينفي الواحد منها الآخر، وتكاد تسيطر على حياتنا العملية والفكرية معا، وهذا التناقض يخلق شخصية غير متوازنة لدى الشباب متوترة ليس لها هدف محدد للحياة ولا رؤية واحدة توحد نفسية الفرد وعقليته: حيث يتلقى قيما متعارضة في المنزل والمدرسة والعمل أما الاحزاب السياسية: فلا نجد في خطابها اية توجهات لتنمية ثقافة وطنية مشتركة بقدر ما ينمي التناقضات والشكوك حول هويتنا الوطنية.

هذا التناقض في السلوك والتفكير والتلقي يخلق كما اسلفنا شخصية غير متوازنة، لاتعرف من تكون ولا ماذا تريد، ولايمكن ان تكون مبدعة او فاعلة اجتماعيا ووطنيا، لأنها تفتقر إلى رؤية عامة وواضحة للمستقبل.

فهناك ازمة تهدد هويتنا الثقافية الوطنية وتتجلى ملامح هذه الأزمة في : تشظي الشخصية الوطنية نتيجة للتناقض والصراع بين ثقافتين.

ويمكن ايجاز تلك التناقضات التي تشكل خطرا على ثقافتنا الوطنية على النحو الآتي:

١- التناقض بين القديم- والجديد.

٢- بين : التفكير الخرافي والاسطوري من جهة- وبين التفكير العقلاني والعلمي من جهة اخرى.

٣- بين القيم القدرية والقيم المؤكدة لحرية الإرادة.

٤- بين الانتماءات المحلية التقليدية السابقة لظهور الدولة و الانتماء للوطن والأمة.

٥- تناقضات الخطاب السياسي : بين احزاب المعارض من جهة والحزب الحاكم من جة اخرى، لانعدام رؤية وطنية مشتركة، تحدد الثوابت والاهداف والتطلعات الوطنية والقومية العامة.

٦- التعليم: من اجل السوق والوظيفة – أم من اجل تحديث الوعي؟

حيث يتركز الخطاب التعليمي في السنوات الاخيرة على ابعاد فكرية تتعارض مع قيمة العلم واهدافه المعرفية كما تتعارض مع نصوص الدستور ومع الكرامة الانسانية، حيث تجعل من الفرد اداة لخدمة السوق؟

٧- سيطرة المجتمع على الفرد فالمجتمع وفقا للخطاب الراهن هو غاية- والفرد وسيلة وهذا الطرح يتجاهل حقيقة ان الافراد هم صانعو التاريخ، ومبدعو كل شيء عظيم في هذه الحياة.

٨- هزيمة نفسية وعدم الاعتزاز بالذات . حيث يسيطر الشعور بالنقص والعجز لدى الانسان اليمني، فلا يسلم بإمكانية ظهور المفكرين والمبدعين اليمنيين وعدم الاهتمام برموزنا الوطنية والتاريخية.

كل ذلك نابع إما من الجهل بها نتيجة لغياب التنشئة الفكرية التي تنمي الروح الوطنية، أو من طبيعة الصراعات السياسية التي تميزت برفض الآخر، وعدم القبول برأيه مهما كان على صواب، ففي تاريخنا الحديث لم يصنف الافراد اعتمادا على معايير موضوعية عند تقييم افكارهم ومواقفهم، بل كان التصنيف يعتمد على اسس متخلفة، مناطقية او مذهبية أو سلالية أو حزبية ضيقة الأفق. غير أن هذا لايعني اعفاء كل من تعارضت اهدافه مع مبادئ الثورة والوحدة الوطنية.

٩- التعارض بين الفكر والعمل :

نلاحظ تنامي هذا الاتجاه لدى معظم صفوة المجتمع من مثقفين وغيرهم، حيث يميلون اكثر إلى البحث عن الحلول العملية والعاجلة والآنية التي تلبي رغبات مادية وليست فكرية أو روحية.

١٠- انعكس هذا التوجه على خطاب المؤسسات التعليمية، حيث اختزلت دورا لعلم من جهة، والانسان من جهة اخرى، في تلبية احتياجات السوق والحصول على وظيفة ، وهذا الخطاب يتعارض تعارضا مطلقا مع القيم السامية للعلم ومع تطلعات الشاب الذي يجد نفسه في ظل هذا التوجه، اداة ووسيلة وليس غاية ، ويتعاض هذا ايضا مع نصوص الدستور ومع توجهات وخطابات الأخ رئيس الجمهورية.

إن هذه التناقضات إلى فقدان الشباب للتوازن النفسي والفكري، حيث لايجد هدفا وطنيا عاما يوجه أفعاله واهدافه الخاصة ولايجد مجالا لتحقيق ذاته، لأن المجتمع والسوق هما الغاية !!

وهذه التناقضات الفكرية تفقد الشاب التوازن النفسي وتخلق لديه احساسا باليأس وعدم الثقة بالذات وبالمستقبل . وهذا الفراغ الفكري والتناقض يهيئ الشاب لتقبل الافكار المتطرفة، هروبا من الفراغ الفكري الذي يهيمن عليه، وبحثا عن اجابة للتساؤلات التي تعتمل في ذهنه، ولم يجد لها اجابة في الخطاب السائد.

عوامل التناقضات في الهوية الثقافية

وإذا كان التناقض في الوعي يعد سمة مميزة لواقعنا الثقافي، فما مظاهره وعوامله؟

إن التداخل والترابط الجدلي بين الذاتي والموضوعي ، بين الداخلي والخارجي ، يعد امرا مؤكدا، ولذلك يمكن رد تلك التناقضات إلى اساسين هما:

أولا: عوامل داخلية

١- وتتمثل في هيمنة وتنامي الولاءات التقليدية المحلية السابقة لوجود الدولة والمجتمع السياسي الحديث.

فقد لوحظ في السنوات الاخيرة بداية ظهور تناقضات في الوعي ناتجه عن الخطاب السياسي للاحزاب القائمة، حيث ادت خلافاتها السياسية إلى تعميق النعرات المناطقية والعشائرية، إن عدم وضوح الرؤية لديها يعود إلى بنيتها التنظيمية الداخلية ، التي يغلب عليها الطابع القروي والمناطقي والعشائري، هذه البنية تشوه الحياة السياسية للمجتمع الحديث وتساعد على تفكيك الهوية الوطنية، وتتعارض مصالحها باستمرار مع الدولة ومؤسساتها، فالخطاب السياسي لتلك الاحزاب لايعكس الرؤية الوطنية العامة، بل يعكس رؤى ومطالب ضيقة، تعبر عن البنية التنظيمية التقليدية لتلك الاحزاب.

٢- بالإضافة إلى ظهور تيارات ترفع شعارات دينية ، متعصبة، وتشكل ظاهرة غريبة على مجتمعنا اليمني، الذي يتميز بروح التسامح، حيث تتجه هذه التيارات لتكفير الآخر، ولا تعترف بالتنوع الفكري، وتدعو إلى الانغلاق على ثقافة العصر.

ثانيا: عوامل خارجية:

وتتمثل في الهجمة الثقافية الغربية والامريكية على وجه الخصوص، حيث تسعى الى الهيمنة على العالم، ولتحقيق اهدافها الاستعمارية نجدها قد حددت وسيلة اكثر فاعلية، تتركز في تفكيك الهويات الوطنية والقومية للشعوب المستهدفة ليتسنى لها بعد ذلك الهيمنة على وجودنا ومستقبلنا، لأن تفكيك الهوية الوطنية يؤدي إلى ضعف الدولة وشل مؤسساتها، فتكون عاجزة اما التشرذم الداخلي، والإطماع الخارجية، حيث تسعى القوى الاستعمارية إلى إعاقة نمونا وتفكيك هويتنا وثقافتنا ، وللخوض في قضايا واشكالات لاتنتمي إلى عصرنا. كما تسعى إلى تفكيك هويتنا الوطنية والقومية ، بإحياء الانتماءات التقليدية ، المذهبية والعرقية والمناطقية لتحطيم النظم العربية ذات التوجه الوطني والقومي، وتفكيكها من الداخل .

فما طبيعة العلاقة بين هويتنا الوطنية والقومية من جهة، والهوية الغربية والامريكية من جه اخرى؟

تشهد العلاقة الراهنة بين هويتنا الوطنية والقومية من جهة، وبين الثقافة الغربية والامريكية على وجه الخصوص، حالة من الصراع من طرف واحد هو الاقوى ضد الطرف الاضعف، حيث تقوم الفلسفة السياسية الامريكية على فكرة الصراع كوسيلة لتقدمها وتجاوز التناقضات الداخلية، فالعدو الخارجي وفقا للفلسفة الامريكية يعد ضرورة لتماسك الهوية الامريكية من جهة ، وتعميمها على العالم من جهة اخرى، وهذا ما أكده صموئيل هنتجنتون في كتابه (صدام الحضارات) حيث يؤكد فيه على ان الصراعات الدولية القادمة ستكون بين الهويات الثقافية، حيث يرى أن : الثقافة والهويات الثقافية، هي التي ستشكل انماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم مابعد الحرب الباردة.

ويرى أن الثقافة الكونية المعاصرة تتميز بكونها متعددة الاقطاب ومتعددة الحضارات وأن ميزان القوى يتغير باستمرار لصالح الحضارات الشرقية، وأن طموح الغرب في تعميم ثقافته، وجعلها ثقافة عالمية، يضعه (هذا الطموح) بشكل متزايد في صراع مع الحضارات الاخرى، واخطرها مع الاسلام والصين ويؤكد على اهمية التحالف الاستراتيجي بين الغرب وامريكا، فهي في نظره الضامن الحقيقي لبقاء الغرب ، وهويته التي تتبناها الولايات المتحدة الامريكية.

لم يكتف هنتجنتون بهذا التأكيد لصراع الثقافات، بل نجده بعد ان بدأت تلوح في الأفق ملامح هذا الصراع بعد احتلال امريكا لأكبر بلد عربي، هو (العراق) اخرج كتابا جديدا يحمل عنوان (من نحن ، تحديات الهوية الامريكية) حيث يرى فيه احتمال تعرض الهوية الثقافية الامريكية للتشظي ، نتيجة للهجرات المتزايدة التي تظل مرتبطة بهوياتها القديمة ، يساعدها في ذلك، وسائل الاتصالات الحديثة، بالإضافة إلى تزايد نفوذ المهاجرين من امريكا اللاتينية، الناطقين بالأسبانية، ويرى ان الوسيلة الفاعلة لتجنب ذلك التمزق في الهوية الامريكية هو الصراع الخارجي مع الحضارات الشرقية ومنها الثقافة العربية الاسلامية، ويقرر إن الاسلام هو وحده فقط المنقذ للهوية الثقافية الامريكية (بعداء الاسلام لأمريكا) سيعمل ذلك على تماسك الشعب الامريكي حول كيانه السياسي الموحد حيث يساعد هذا العداء لتطوير الثقافة الامريكية وتماسكها وفرضها على المستوى العالمي.

وما احداث ١١ سبتمبر وتداعياتها إلا ترجمة عملية للاستراتيجية الامريكية القائمة على الصراع الخارجي باعتباره وسيلة فاعلة لتجاوز التناقضات الداخلية.

تتميز علاقتنا الراهنة بالغرب، بالتوتر والصراع، حيث يتجه الغرب هذه الايام للتوحد للهيمنة على العالم، ويتضح اصراره بتمسكه بالهيمنة المطلقة على العالم في استبعاد الآخر وتهميش دوره، وتحطيم مقومات وجوده، ومحاولة فرض تصور ورؤية واحدة للحياة السياسية والفكرية للإنسانية جمعاء.

وهذه عودة للنزعة الشمولية والواحدية، التي حاربها الغرب نفسه، الذي قامت ثقافته المعاصرة على أساس التعدد لكنهم طوروا ثقافتهم على ذلك الاساس، ولم يسمحوا للشعوب الاخرى بتنمية هوياتها وثقافتها، بل نجدهم يشجعون على نمو الهويات المحلية المتخلفة داخل الشعوب ذات الهوية الكبرى الموحدة.

فعمقوا تلك الثقافات العرقية والطائفية، لتفكيك المجتمعات وتفجيرها من داخلها بغية السيطرة عليها واحتوائها.

هذا ماحدث في العراق ، فلم يتم غزوه إلا بعد ضمان تنمية وتعميق الخلافات الداخلية الثانوية ، وجعلها تناقضات اساسية، تم استخدامها ادوات وذرائع لاحتلال وطن كان قويا وموحدا ويمتلك رؤية للمستقبل واضحة.

هذه إذا هي طبيعة العلاقة بين هويتنا الثقافية الوطنية والقومية من جهة وبين الهوية الغربية و الامريكية كما يرونها هم، علاقة تتميز بالصراع وليس بالحوار.

ألم يتفقوا جميعا على احتلال العراق ولم يكن الاختلاف إلا في التفاصيل؟

محاولة لحل التناقضات

إن الخطر الذي يهدد شعوبنا العربية، هي الانتماءات التقليدية التي تسبق وجود الدولة والوطن، حيث يشكل التعصب للانتماءات المحلية القديمة تعارضا تاما مع قيام الكيان السياسي الجديد كما يتعارض ويتناقض مع الولاء للوطن الاكبر، كما يتعارض مع قيم عصرنا ومع ما انجزته البشرية من اصلاحات وثورات سياسية واجتماعية وفكرية لبناء الدولة- والأمة ، وكانت سببا جوهريا في تمزقنا وتخلفنا الشامل، لأنه كما سبق يتضمن عودة إلى حالة الغريزة والطبيعة، والحياة مع القطيع ويتضمن التخلي عن دور العقل.

وبما ان الكيانات المحلية لاتستطيع ضمان الحياة وتحقيق وجودها وحريتها في ذلك النمط القديم فإن افرادها حين يشعرون بالاغتراب وضياع ذواتهم، وحريتهم في ظل هيمنة الكيانات الموضوعية التي لاتعترف بفرديتهم، فإنهم يطالبون بالخروج من سجنهم إلى بناء كيان جديد يوحدهم مع غيرهم على أساس مصالح مشتركة قائمة على العقل والحرية.

إذ ليس بإمكان المجتمع المحلي أن يتطور الى مجتمع حديث إلا بتحطيم بنية علاقاته القديمة، ولن يتم ذلك إلا بتحديث وعي الشباب والتأكيد على اهمية الانتقال من الوعي بالانتماءات المحلية إلى الوعي بالانتماء إلى الوطن والمجتمع الحديث ، الذي يتيح للافراد تحقيق حرياتهم ووجودهم وتطلعاتهم المستقبلية، في ظل كيان وطني اسمى من تلك الكيانات التي تكبل حرية الفرد، وتلغي شخصيته وتخلق لديه حواجز نفسية مع بني وطنه وقومه ومع الانسانية جمعاء.

ولذا فإن الحلول المطلوبة لمواجهة تشظي المجتمع هو تكريس فكرة الانتماء والولاء للكيان الاجتماعي والسياسي الجديد، الذي يقوم على العقل، حيث يحل القانون والمواطنة محل العلاقات المحلية التقليدية .

لابد إذن من وضع صيغ ثقافة جديدة تعبر عن الحياة وفقا للعقل وليس للغريزة – للحياة ضمن كيان سياسي وليس ضمن مجتمع محلي.

إن المجتمع السياسي لايرفض تلك التكوينات ولايحاول محوها تماما، بل يسعى إلى الاعتراف بها كجزء من المكونات المتعددة لنسيج المجتمع الجديد شرط أن يسود الانتماء الجديد للوطن- والأمة.

إن القوى الاستعمارية حينما تسعى إلى الهيمنة والتحكم بمصير الشعوب تبحث عن اتجح الوسائل لتفكيك الدولة الوطنية – أو القومية- من الداخل بتذكير الكيانات المكونة للدولة بانتماءاتها القديمة وتضخيمها على حساب الانتماء للوطن والدولة وهذا ماحدث في العراق، حيث عمقت التناقضات الثانوية ليفتجر المجتمع المستهدف من الداخل ويأتي دور تلك القوى باعتبارها المنقذ المدافع عن حقوق الانسان وعن الحرية الديمقراطية حيث تستخدم هذه المفاهيم كوسائل لتحقيق فعلها، وأهدافها.

ولذا لابد من تحصين وطننا وأمتنا بتعميق روح الولاء بتنمية ثقافة وطنية وقومية، تربي في النشء حب الوطن والاستعداد للذود عنه والعمل من أجل تقدمه وازدهاره، ولن يتم هذا إلا عبر: مناهج التربية الوطنية في كل المراحل الدراسية، وضمن توجه شامل يشمل الخطاب: الاعلامي والديني والسياسي ايضا. على ان تلتزم كل الاحزاب والتجمعات السياسية والمهنية بهذا المبدأ وتحديد الثوابت التي نتفق حولها جميعا، وجعل الخلاف يتمركز حول كيفية بناء وطن قوي ومتقدم وصولا إلى ارتقاء الانسانية كلها على هذه الارض بتفعيل التنافس والحوار من خلال القواسم والمصالح المشتركة ، بحثا عن عالم افضل.

هدفنا التقدم والارتقاء للوصول إلى القوة التي تعد هدفا انسانيا عظيما، ووسائلنا تكمن في تنمية الشعور بالانتماء للوطن والأمة وتجاوز كل اشكال الوعي الزائف الذي يعوق سيرنا التقدمي، والاعتزاز بالذات وبنائها والانفتاح على ثقافة العصر ومواكبة التطور المادي والتقني والفكري معا، وتنمية روح الابداع لدى اجيالنا وشبابنا ، بدلا من التقليد والاتباع ورفض الانغلاق والعزلة والاستهلاك والتوجه نحو الانفتاح على الآخر ونحن نمتلك رؤية واضحة للمستقبل نحدد فيها من نحن الآن وماذا نريد لوطننا وأمتنا.

● أستاذ الفلسفة بكلية الآداب- جامعة صنعاء

تناقضات الوعي بالهوية تعود إلى الولاءات التقليدية والتيارات المتعصبة

يجب الانتقال بوعي الشباب من الأطر المحلية إلى آفاق الانتماء الوطني الأوسع